

أهمية رحلة عبد الغني النابلسي الى الحج عام 1105هـ كمصدر لدراسة تاريخ منطقة تبوك في القرن 12هـ/18م

محمد عبدالله الزعاريير*

ملخص

تهدف الدراسة إلى الكشف عن أهمية وقيمة رحلة الشيخ عبد الغني النابلسي المتوفى عام 1143هـ/1730م الموسومة بـ "الحقيقة والمجاز في الرحلة الى بلاد الشام ومصر والحجاز" والتي مثلت رحلته الى الحج عام 1105هـ/1694م والتي دون فيها مشاهداته عبر مروره في طريق الحج حيث عني بتسجيل مشاهداته في المحطات التي مر بها وتلك التي اقام فيها بعض الوقت منذ دخوله حقل التي تعد أول محطات طريق الحج في منطقة تبوك. تركز الدراسة على تتبع المعلومات الواردة في رحلة النابلسي وجمعها وتصنيفها وتحليلها وإبراز أهميتها في الكشف عن الجوانب التي تتعلق بتراث المنطقة وتاريخها، والقيمة التاريخية للمعلومات الواردة في الرحلة وأهميتها بالنسبة للباحثين في تاريخ المنطقة.

الكلمات الدالة: تبوك، رحلة، تاريخ.

والرحلة ومشاعر الحج والطرق التي سلكوها، وظهرت المشاعر الدينية الجياشة لدى كتاب هذا النوع من الرحلات نظرا لارتباط ذلك بمناسبة قدومهم إلى الأماكن المقدسة لأداء فريضة الحج.

ونظرا لأن منطقة تبوك تتمتع بموقع ذو أهمية كبيرة كمر على طرق التجارة القديمة وعلى طرق الحج القادمة عبر مصر والشام، فقد ارتبطت بعلاقات حضارية قديمة مع بلاد الشام ومصر وبلاد الرافدين، وهذا منحها أهمية وحضورا في الذاكرة البشرية وفي الكتابات التاريخية والجغرافية، فقد اجتذبت المنطقة منذ القدم اهتمامات العلماء والرحالة من المسلمين والأوروبيين. إن أهمية منطقة تبوك من الناحية التاريخية والجغرافية والحضارية عبر العصور وما تزخر به من آثار متنوعة ومقومات طبيعية جعلت منها منطقة خصبة للدراسة والبحث ويظهر ذلك في المعلومات التي تتوافر عن المنطقة في العديد من المصادر والمراجع والتي على الرغم من قلتها إلا أنها تساعد في الكشف عن تاريخ المنطقة في الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وما تزخر به من آثار ومقومات طبيعية وجغرافية.

ومن أبرز الدراسات السابقة التي تناولت دراسة كتابات الرحالة المسلمين ورحلات الحج، ما قام به الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله - الذي بذل جهودا كبيرة في الكشف عن العديد من الرحلات ونشرها في أعداد من مجلة العرب التي تعنى

المقدمة

تُعد كتب الرحلات من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية؛ نظرا لاعتماد مؤلفيها على المشاهدة والمعينة، وهي بذلك تُصور ملامح الواقع الذي شاهده الكاتب، ومثل أدب الرحلات أهمية كبرى في جمع التراث البشري في جوانب مختلفة من حياة الأمم والمجتمعات على مدار العصور، حيث اشتملت مؤلفاتهم المبنية على الرحلة والتنقل على وصف البلدان وأحوالها الجغرافية والطبيعية وما تشتمل عليه من بحار وأنهار ونباتات وحيوانات وأحوال السكان الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، إضافة إلى الأحوال السياسية والإدارية والآثار والمكتبات والمساجد.

ومن بين أحد أهم أنواع الرحلات الرحلة إلى الحج التي حظيت بعناية خاصة من بعض الرحالة والمؤرخين المسلمين، ومثل ذلك أهمية كبيرة على الرغم مما كان يتخللها من صعوبات ومخاطر كثيرة ومشاق السفر، وانعدام الأمن على طرق الحج ودروبها أحيانا، وعدم توفر المياه أحيانا أخرى، وقد تنوعت المعلومات الواردة في كتب رحلات الحج لتتضمن وصفا للمحطات والأماكن التي مروا بها وكذلك السفن والرحلة

* برنامج التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر. تاريخ استلام البحث 2016/7/31، وتاريخ قبوله 2016/10/3.

المصادر والمراجع المكتوبة وكذلك على الوثائق وعلى ما سمعه من أهل المدينة من كبار السن، ولعل هذه الدراسة من الدراسات الهامة التي تكشف عن ملامح أهمية المنطقة من الناحية الاقتصادية، وفي السياق نفسه ولكن بشكل أوسع تتناول الدراسة التي إلفها محمد أحمد الرويثي وعنوانها الموانئ السعودية على البحر الأحمر المنشورة عن مؤسسة الرسالة، في طبعتها الأولى 1983/1403م، وتتناول الحركة التجارية على الموانئ التي من ضمنها الموجودة في المنطقة مثل المويلح وضبا والوجه، وتعد إلى جانب دراسة الدكتور موسى العبيدان من الدراسات الهامة التي تكشف عن ملامح الحياة الاقتصادية للمنطقة خلال القرنين 12 و13 الهجريين.

ومن الدراسات التي تناولت منطقة تبوك أو أجزاء منها، دراسة الدكتور محمد علي الهرفي والتي نشرت عام 1410هـ/1989م وتناول فيها ماضي وحاضر مدينة تبوك، وفي عام 1413هـ/1992م صدر كتاب الأستاذ الدكتور مسعد بن عبد العطوي بعنوان تبوك قديماً وحديثاً أيضاً تناول تاريخ تبوك وآثارها.

أما عن المحافظات التابعة لمنطقة تبوك فقد أولى الأستاذ الدكتور موسى العبيدان منطقة ساحل البحر الأحمر الواقع ضمن الحدود الإدارية لمنطقة تبوك والمعروف قديماً بطريق الحج المصري وكذلك طريق الحج الشامي بدراسة بعنوان الشعر على طريق الحاج المصري والشامي صدرت الطبعة الأولى من الكتاب عن النادي الأدبي بمنطقة تبوك عام 1422هـ/2001م.

وإلى جانب الدراسات التي تمت الإشارة لها يتوفر دراسات أخرى عديدة عن مدن المنطقة مثل تيماء وحقل والبدع وأمّج تلقى الضوء على تاريخ المنطقة عبر العصور.

تمهيد (جغرافية منطقة تبوك وتاريخها)

- جغرافية المنطقة

تقع منطقة تبوك في الجهة الشمالية الغربية من الجزيرة العربية، يحدها من الغرب بحر القلزم (البحر الأحمر)، ومن الشمال بلاد الشام، ومن الجنوب الشرقي بلاد الحجاز والتي شكلت امتداداً طبيعياً لها. (ابن حوقل، 1874) وهي اليوم تشكل في امتدادها الإداري الحالي القسم الشمالي الغربي من شبه الجزيرة العربية، وتقع بين دائرتي عرض 24,30، و29,52 شمالاً وخطي الطول 34,34 و40,12 شرقاً، ومن الغرب يحدها البحر الاحمر، ومن الشمال يحدها الأردن، ولها حدود مع المناطق الاخرى من امارات المملكة مع الجوف والقريات من الشمال، ومن الشرق يحدها منطقة حائل، ومن الجنوب تحدها

بالتراث العربي المخطوط والمطبوع، وبالإضافة إلى ذلك فقد حقق الشيخ الجاسر العديد من المخطوطات في رحلات الحج وتم نشرها ومن ذلك على سبيل المثال وليس الحصر: تحقيقه كتاب إبراهيم بن إسحاق الحربي (ت 285هـ/898م): المناسك وأماكن طرق الحج، وهو من منشورات دار اليمامة، 1969م، وكذلك كتاب أبو اسحق الحزمي، (198-285هـ/810-898م) "المناسك" وأماكن طريق الحج ومعالم الجزيرة وهو من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر عام 1401هـ. وكذلك نشره كتاب، ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي المغربي عام 1403هـ/1983 م.

أما مجلة العرب فقد اشتملت على العديد من الرحلات المنشور مقتطفات منها على صفحات المجلة ومن ذلك: رحلة الوزير الاسحاقي إلى الحج، في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج، ومنشورة في ج 11 و12 من عام سنة 1985) وكذلك (الرحلة الحجازية) لمحمد بن عثمان بن محمد السنوسي التونسي في ج 3 و4 من سنة 1398 / 1978) وكذلك الرحلة العياشية، لعبد الله بن محمد (ت 1090هـ/1679م)، في ج 1 و2، سنة 1397 / 1977) ورحلة "البرق السامي في تعداد منازل الحج الشامي"، لمحمد ابن طولون الحنفي المتوفى سنة 953هـ، في ج 1 و12، سنة 1396 هـ / 1976م.

ومن الدراسات الحديثة التي تناولت المنطقة دراستان للدكتور مطلق البلوي، الأولى دراسة بعنوان (العثمانيون في شمال الجزيرة العربية 1326-1341هـ/1908-1923 م) وهي في الأصل رسالة ماجستير مقدمة في جامعة أم القرى، دراسة منشورة في بيروت في الدار العربية للموسوعات عام 1427هـ/2007م حيث اشتملت الدراسة على تتبع تاريخي للوجود العثماني في شمال غرب الجزيرة ويتركز على منطقة تبوك، والثانية رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث من جامعة أم القرى وهي بعنوان (منطقة تبوك في عهد الملك عبدالعزيز 1344-1373هـ/1926-1953م) حيث تركزت الدراسة على منطقة تبوك في عهد الملك عبدالعزيز واشتملت على معلومات عن مظاهر الحياة في المجالات السياسية والاقتصادية والإدارية والاجتماعية للمنطقة قبل وخلال عهد الملك عبدالعزيز.

كما توجد العديد من الدراسات التي تناولت منطقة تبوك بالبحث والدراسة ومنها دراسات في المجال الاقتصادي تناولت جزء من المنطقة ومنها كتاب للأستاذ الدكتور موسى بن مصطفى العبيدان، بعنوان الحركة التجارية في ضباء بين عامي 1282-1382هـ، ط 2، 1428 هـ / 2007م حيث كشف عن الدور التجاري لمدينة ضباء بالاعتماد على

الممالك ذات المصالح التجارية الكبرى في العالم القديم، فالإمبراطورية البيزنطية اعتبرت هذه المنطقة امتداداً طبيعياً لبلاد الشام، ولذلك فإن ارتباطها بها بدأ منذ بداية القرن الثاني للميلاد عندما سيطروا عليها وسموها الكورة العربية (المسعودي، 1973).

منطقة المدينة المنورة وتبلغ مساحة منطقة تبوك 116400 كم². (الخضير، 1991) والمنطقة تمثل جزءاً مهماً من شبكة طرق التجارة العالمية ما بين الشرق الأقصى (والهند) وبين دول البحر المتوسط (الدوري، 1989) واسترعى هذا الموقع الهام اهتمام



موقع منطقة تبوك على خريطة المملكة العربية السعودية

العالم الإسلامي، نظراً لأهمية موقعها كونها تشكل معبراً لطرق الحج حيث يمر منها قوافل الحاج العراقي والشامي والمصري المتجهة إلى الحرمين الشريفين، وحرصت الدولة العثمانية على تأمين وصول هذه القوافل في ذهابها وإيابها (البلوي، 1932) ولتحقيق ذلك أنشأت الدولة قلاعاً على طريق الحج المصري وطريق الحج الشامي تقيم فيها حاميات عسكرية، وقد ذكر يوليوس ايتنج Julius Euting الرحالة الأوربي هذه القلاع والحاميات العثمانية التي كانت تقيم فيها (ايتنج، 1419هـ) للحفاظ على أمن قوافل الحج المارة عبر هذين الطريقين (الدمشقي، 1993) وبعد انشاء سكة حديد الحجاز في العقد الثاني من القرن 14 هـ اوائل القرن 20م أنشأ العثمانيون محطات لسكة الحديد بالقرب من هذه القلاع، ومن أكبرها محطة تبوك والحجر (الدقن، 1985) وبلغ عدد المحطات الشمالية 22 محطة. (البيتوني، الرحلة الحجازية).

ومنطقة تبوك موضوع الدراسة تعد ضمن منطقة الحجاز بامتدادها الجغرافي والبشري، وينقسم السكان في اقليم الحجاز إلى حاضرة وبادية، والقبائل العربية البدوية تشكل النسبة الأكبر من السكان (أبو عيله، 1976) وهي ذات عادات وتقاليد مشتركة، وقد اتيج لمجتمع المنطقة الاحتكاك بالعنصر الأجنبي بحكم موقع المنطقة (ومن الإحصائيات التقريبية عن عدد

- تاريخ منطقة تبوك:

ارتبط تاريخ منطقة تبوك في المصادر التاريخية الإسلامية بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازيه حيث يجد المتتبع لتاريخ المنطقة وتحديدًا مدينة تبوك وروداً كثيراً في كتب المغازي والسير لارتباطها بحدث هام وهو غزوة تبوك (الواقدي، 1984) وبعد نقل عاصمة الخلافة الإسلامية من المدينة المنورة إلى دمشق ثم بغداد أصبحت الإشارات الواردة عن المنطقة قليلة (جريس، 1411هـ) وبسبب انعدام الأمن على طريق الحج؛ توقف بعض المسلمين عن الذهاب للديار المقدسة لأداء هذا الركن العظيم، فمثلاً في سنة (357هـ/ 967م) لم يحج أحد من الشام، ولا من مصر، والسبب انعدام الأمن على الطرقات (أبو المحاسن، 1963) مما جعل المعلومات قليلة عن المنطقة، لكن ما لبثت ان برزت المنطقة على مسرح الأحداث في العصر المملوكي فبدأت الإشارات ترد عنها في العديد من المصادر وقد يعود ذلك الى انتقال مركز النفوذ في الدولة الإسلامية من بغداد إلى القاهرة، والاهتمام الذي أولته الدولة المملوكية (648 - 922هـ/ 1250 - 1516م) بطريق الحج، والاصلاحات التي أجرتها في هذه الطرق.

وفي العصر العثماني (922-1334 هـ/ 1516-1916م) اهتم العثمانيون بشمال شبه الجزيرة العربية بعد سيطرتهم على

ضمن حدودها الإدارية التي تم تعيينها في سياق الحديث عن الموقع الجغرافي وامتدادها ضمن القسم الشمالي الغربي من شبه الجزيرة العربية، على مساحة تصل إلى 16400 كم² (الخصيري، 1991) وبلغ عدد المحطات الواقعة ضمن هذا الامتداد الجغرافي (منطقة تبوك) (14) محطة بدأت بحقل (النابلسي، 1694) وهي المنزل التاسع على طريق الحاج المصري وانتهت بالنبط المنزل (22) (النابلسي، 1694) وأما الإطار الزمني للدراسة فهو محدد بتاريخ الرحلة في عام 1105 هـ / 1694 م التي هي موضوع البحث والتي استغرقت 21 يوم من رجب وثمانية أيام من شعبان قضاها المؤلف على طريق الحج المصري في طريق سفره إلى الحج (النابلسي، 1694) وتسعة أيام قضاها في طريق العودة عبر طريق الحج الشامي من 14 محرم إلى 23 محرم من عام 1105 هـ / 1694 م (النابلسي، 1694) وبذلك يكون مجموع ما قضاها المؤلف بين منازل طريقي الحج المصري والشامي حوالي الشهر من عام 1105 هـ / 1694 م (النابلسي، 1694) وهنا تكمن قيمة الرحلة في أنها مثّلت مشاهدات للمؤلف خلال ذهابه وإيابه عبر منطقة تبوك وما كانت عليه المنطقة في العهد العثماني في أوائل القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي.

وصف الرحلة:

تحمل الرحلة عنوان "الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز" وهي من تأليف عبد الغني بن اسماعيل النابلسي المتوفى عام 1143 هـ / 1730 م تم الانتهاء من نسخ الرحلة في نهار السبت (14) من شهر ذي القعدة سنة (1231) هـ على يد عبدالجليل بن مصطفى بن اسماعيل ابن مؤلف الرحلة " الشيخ عبدالغني " الكتاب من تقديم واعداد د. احمد عبدالمجيد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986 م اشتمل الكتاب من ورقة 305-316 على منازل الحاج التي مر بها مؤلف الرحلة عبر منطقة تبوك (النابلسي، 1694) بحدودها الادارية الحالية* (الخصيري، 1991).

أولاً: التعريف بالرحلة

اشتملت الرحلة على أفكار تكشف عن أهمية الرحلة والدوافع التي كانت وراء تأليفها، فقد أشار المؤلف إلى أن الحج وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم كانت هي الدافع الرئيس وقال في ذلك " لقد كنت فيما تقدم من الزمان. مع جملة من الأصدقاء والاخوان. أتمنى الاستيعاب في زيارة الصالحين من الأحياء والأموات. والتبرك بنفحات مجالسهم وهاتيك الحضرات.

سكان الحجاز الذي تعتبر منطقة تبوك جزءاً منه حوالي (300000) في عشرينيات هذا القرن (القرن العشرين) ومليون ونصف على أعلى تقديرات وأغلب هؤلاء السكان من البدو (أبو عيله، 1976)

وفي العهد السعودي انضمت منطقة تبوك إلى حركة التوحيد الكبرى التي قادها الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود وبدأها بضم تيماء عام 1340 هـ / 1921 م، (دائرة الملك عبدالعزيز، 2004) ثم حرص على نشر الأمن في المنطقة، من خلال متابعته الدقيقة للأمن والمؤسسات الأمنية التي أنشأها وطورها (العتبي، الأمن) وكان لكل مدينة من مدن المنطقة مثل تيماء وتبوك وأملج والوجه وضباء والمولح وحقل خلال المرحلة الأولى إمارة مستقلة عن إمارات المدن الأخرى، وذلك من حيث المرجعية الإدارية، أما في المرحلة الثانية فقد تم اختيار مدينة تبوك لتكون عاصمة للمنطقة كلها (البلوي، 1431) وقد كان التكوين الاجتماعي في المنطقة يتألف من إمارات قبلية مجاورة لمدينة تبوك، ومنها قبائل بني عطية، وقبائل الحويطات (تويتشل، المملكة العربية السعودية وتطورها) وقبائل بلي (ببركهات، رحلة) وقبائل جهينة.

أهمية البحث:

إن الأهمية الجغرافية التي كانت تتمتع بها منطقة تبوك بوقوعها على طريق الحج المصري والحج الشامي جعلها تحفل بأهمية خاصة في اهتمامات الحجاج وخاصة كتأب الرحلات العرب وغير العرب من المسلمين الذين حرصوا على تسجيل مشاهداتهم للأماكن والمواقع التي مروا بها. ومنهم من سجل مشاهداته اليومية فمثلت وصفا هاما لإيقاع حياة المجتمع في المنطقة بكل تفاعلاتها، ومنها الرحلة موضوع الدراسة (الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز) للشيخ عبدالغني النابلسي التي حرص فيها على تدوين يوميات الرحلة من تاريخ خروجه إلى الحج وحتى عودته، وبذلك تضمنت الرحلة أخبارا ووصفا لما مر به وشاهده المؤلف طيلة الرحلة ومن ذلك مروره عبر منازل ومحطات طريق الحج المصري ذهابا وطريق الحج الشامي إيابا، والمعلومات الواردة في الرحلة تكشف عن ملامح هامة من تاريخ شمال غرب الجزيرة العربية عامة ومنطقة تبوك خاصة للفترة الممتدة من أواخر القرن الحادي عشر والنصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري وأواخر القرن السابع عشر الميلادي وبدايات القرن الثامن عشر الميلادي.

الإطار المكاني والزمني للدراسة

ركّزت الدراسة على ما ورد في الرحلة عن منطقة تبوك

الثاني في الاقبال على البقاع المصرية. والتمين بهاتيك الحسنة الاحسانية. والقسم الثالث في التشرف بالوصول إلى الأقطار الحجازية " (الناقلي، 1694) وعلى حسب ما ذكر المؤلف أن الرحلة بدأت بشهر آب في آخر فصل الصيف من عام 1100 من الهجرة (الناقلي، 1694) وذكر المؤلف أن رحلته بدأت في صباح يوم الخميس من غرة المحرم أول شهر سنة 1105 هـ /1694م اليوم الأول من الرحلة والذي بدأه بزيارة راس السيد يحي الحصور بالجامع الشريف الأموي (الناقلي، 1694) وفي "القسم الثالث في التشرف بالوصول إلى الأقطار الحجازية. والاستقبال لبروق هاتيك الأسرار الأقدسية. وقد أصبحنا في منزلة قايتباي يوم الخميس الثالث والثمانين ومائة وهو اليوم السابع من شهر رجب " (الناقلي، 1694) ولم ينس المؤلف أن يذكر من رافقه في الرحلة ووصف الراحلة وأعدادها، فذكر أن بصحبته (8) أنفس (المؤلف وابنه وخادم المؤلف وثلاثة " محمد، واسعد، وعبد اللطيف ومن سماهم العرب (3) فرجع (1) وبقي اثنان (حسن ونجم) ومعه من الراحلة (6) من النوق و(فرسان) 2 حصان (الناقلي، 1694).

ثانيا: مؤلف الرحلة

- اسمه ونسبه

عرّف المؤلف باسمه ونسبه في بداية الرحلة على أنه الشيخ عبدالغني ابن الشيخ اسماعيل بن الشيخ عبدالغني بن اسماعيل بن أحمد حتى ينتهي بابن سعد الله بن جماعه الشهير بابن الناقلي الدمشقي الحنفي القادري النقشبندي (الناقلي، 1694) وأورد المؤلف أن مولده كان عام 1050 هـ /1640م، أثناء غيبة والده عن دمشق بعد رحيله إلى مصر لتلقي العلم على جماعة من فقهاء وعلماء ومحققين في المذهب الحنفي وقال في سياق حديثه عن رحيل والده إلى مصر لتلقي العلم هناك " ورحل إلى مصر في سنة خمسين بعد الألف وقد كان مولدنا في هذه السنة في غيبته بمصر " (الناقلي، 1694).

وأورد المرادي ت في الجزء الثالث من كتابه سلك الدرر ترجمة موسعة تضمنت تعريفاً بالشيخ عبد الغني الناقلي اسمه ونسبه ومكانته بين العلماء ومما ذكره المرادي: " (الشيخ عبدالغني) بن اسمعيل بن عبدالغني بن اسمعيل بن احمد بن ابراهيم المعروف كأسلافه بالناقلي الحنفي الدمشقي النقشبندي القادري استاذ الأساتذة وجهبذ الجهابذة الولي العارف. ينبوع الوارف والمعارف. الامام الوحيد. الهمام الفريد. العالم العلامة. الحجة الفهامة. البحر الكبير. الحبر الشهير. شيخ الاسلام صدر الأئمة الاعلام. صاحب المصنفات التي اشتهرت شرقا وغربا. وتداولها الناس عجا وعربا ذوا الأخلاق الرضية.

ويكون ختم ذلك بالحج الشريف. وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك البلد المنيف " (الناقلي، 1694) ومما ذكره المؤلف أن رحلته شملت البلاد الشامية والمصرية وبلاد الحجاز ويقول في ذلك " صارت لنا مخاوف الطرقات أمانا. ومهالك الفلوات اسلاما وايمانا. حتى وردنا غالب البلاد الشامية. ومشيئا في سواحل قصباتها العامرة الإسلامية. والجهات القدسية. ثم خلفناها وذهبنا إلى البلاد المصرية. واجتمعنا بمن فيها من أكابر المشايخ الأعلام وأعيان الدولة السلطانية وتبركنا بمشاهد الصالحين. وقبور السادة الأئمة الكاملين. وذهبنا إلى أماكن الزهات والغيطان. (الناقلي، 1694) وانشرت صدورنا بالبركة والدواليب وسواقي الرياض ذات الأشجار والأغصان. وسرحت خواترنا في ميادين تلك الفلوات الأنيفة. وحضرات هاتيك المجالس اللطيفة الرقيقة. ورأينا مراكب ذلك النيل السعيد. ومياهه العذبة الصافية التي ما عليها من مزيد. وشهدنا ميزان المقياس. الذي هو أعجوبة للناس. ثم ذهبنا إلى البلاد الحجازية. وتمتعنا بهاتيك الحضرات الأنسية. واجتلينا أنوار التجليات والأسرار القدسية. واجتمعنا بالعلماء والأفاضل. وطلبة العلم أصحاب الفضائل. وتشرفنا بالحضور مع الصالحين. وزيارة اولئك السادة والأئمة المجاورين. وقضينا فريضة الحج. مع كمال العج والتج. ثم رجعنا الى بلادنا دمشق الشام. نحن وجماعتنا في كمال الصحة والعافية وبلوغ المرام. فأردنا أن نثبت ذلك في هذا الكتاب. ليكون مذكرا لنا بنعم الله تعالى علينا وعلى بقية الأصحاب. وان في ذلك لعبرة لأولي الألباب وقصدنا التحدث بنعم الله تعالى بين الأحباب. وايراد الفوائد العلمية لأهل الهمم من الطلاب. كما فعلنا ذلك في الرحلة الصغرى الى جبل لبنان وارضى البقاع. وبلدة بعلبك ذات البركة والانتفاع. المسماة بحلة الذهب الابريز. في رحلة بعلبك والبقاع العزيز... وذلك في سنة مائة وألف من الهجرة النبوية وكما فعلنا ذلك في الرحلة الوسطى الى بلاد القدس والخليل. صحبة الصديق والخليل. المسماة بالحضرة الأنسية في الرحلة القدسية... وذلك في سنة احدى ومائة وألف من الهجرة المحمدية فدونك هذه الرحلة الكبرى التي هي رحلة جامعة لأنواع من الفنون... ونحن في جميع ذلك لم نخلو من رجاء دعوة سالحة. من اخ صديق تلوح له في افاق ما ذكرناه لايحه. فيذكرنا بالخير في حياتنا وبقراً لنا بعد مامتنا سورة الفاتحة وقد سمينا هذا الكتاب المبارك إن شاء الله تعالى بالحقيقة والمجاز. في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز. وجعلنا ذلك على ثلاثة أقسام. ليحصل الاستيعاب فيما نحن بصدد ذكره بالوجه التام. القسم الأول في الجولان في البلاد الشامية. والتتقل في محاسن هاتيك الأراضي المباركة المرضية. والقسم

الرابع والعشرين من شهر شعبان من العام نفسه، وجهر يوم الاثنين الخامس والعشرين من الشهر وصلي عليه في داره ودفن بالقبة التي أنشأها في أواخر سنة ست وعشرين ومائة وألف (المرادي، 1310) وأختم بما أورده خير الدين الزركلي في كتابه الأعلام عن الشيخ عبد الغني النابلسي الذي ذكر أنه عاش بين عامي (1050-1143هـ = 1641-1731م) وقال عنه شاعر، عالم بالدين والأدب، مكث من التصنيف، متصوف. ولد ونشأ في دمشق. ورحل إلى بغداد، وعاد إلى سورية، فتنقل في فلسطين ولبنان، وسافر إلى مصر والحجاز، واستقر في دمشق وتوفي بها. له مصنفات كثيرة جداً، ثم ذكر عدد من مصنفاته ومنها هذه الرحلة التي هي موضوع الدراسة " الحقيقة والمجاز في رحلة الشام ومصر والحجاز " (الزركلي، 1396).

ثالثاً: منهج المؤلف

يتناول هذا الجزء من الدراسة تعريفاً بمنهج المؤلف في تدوين الرحلة للكشف عن قيمة المعلومات الواردة فيها وإمكانية الاعتماد عليها كمصدر تاريخي في تدوين تاريخ المنطقة، ويتركز الحديث عن منهج المؤلف في الإشارة إلى مصادره والموضوعات التي عني بتدوينها.

- المصادر

وردت إشارات قليلة عند المؤلف عن نقله بعض الأشعار وبعض المعلومات عن سبقه من الرحالة والشعراء ومن ذلك ما أورده عن المنازل على طريق الحج شعراً نقلًا عن جده العلامة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة ابن علي بن جماعة بن حازم بن صخر الكناني. انشد لنفسه رحمه الله تعالى في منازل الحج من طريق مصر هذه الأبيات: دعاها الهوى المكي حين عراها

غرام إلى ذات السبور سبأها

وحين حدا الحادي الحجازي هيجت

بلايلها اشواقها وشجاها

فدعها رعاك الله تعدو بسوقها

تمد إلى أرض الحجاز خطاها

إلى بركة الحجاج سارت مجدة

فأضحت وحطت بالبويب عشاها

وضحت بروض الكيش ثم تيممت

مراكع موسى والسويس مساها

ومرت إلى وادي القباب وبعده

سرت وبأرض التيه كان ضحاها

وفي نخل أمست وفي السطح قيلت

وفي آيلة حطت وزال عنهاها

والأوصاف السنينة. قطب الأقطاب...". وتغلب على ترجمة المرادي للنابلسي عبارات المدح والثناء (المرادي، 1310).

- مولده ونشأته

ولد الشيخ عبد الغني النابلسي بدمشق في الخامس من ذي الحجة سنة 1050هـ/1640م ونشأ يتيماً حيث توفي والده وعمره اثني عشر عاماً. نشأ على قراءة القرآن وطلب العلم اشتغل على طلب العلم مبتدئاً بقراءة القرآن والفقه وأصوله على الشيخ أحمد القلعي الحنفي وتلقى علم النحو والمعاني والتبيان والصرف على يد الشيخ محمود الكردي نزيل دمشق، ودرس الحديث ومصطلحه على الشيخ عبد الباقي الحنبلي، ودرس التفسير والنحو على الشيخ محمد المحاسني، وحضر دروس والده في التفسير بالمدرسة السليمية وفي شرح الدر بالجامع الأموي ودخل في عموم اجازته وحضر دروس النجم الغزي ودخل في عموم اجازته وأخذ العلم عن العديد من مشايخ عصره، وأخذ طريق القادرية عن الشيخ السيد عبدالرزاق الحموي الكيلاني وأخذ طريق النقشبندية عن الشيخ سعيد البلخي (المرادي، 1310).

وابتدأ في قراءة الدروس والقائها والتصنيف لما بلغ عشرين عاماً، وأقبل بشغف على المطالعة في كتب الشيخ محي الدين ابن العربي وكتب السادة الصوفية، ونظم بديعية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، كما ألقى الدروس في الجامع الأموي في بداية اليوم، وبعد العصر كان يلقي الدروس في الجامع الصغير (المرادي، 1310) وذكر له المرادي عدد كبير من الكتب والرسائل في الفقه والتصوف والنحو والشعر والتاريخ (المرادي، 1310)

- سفره ورحلاته

تنقل الشيخ عبد الغني النابلسي بين دار الخلافة ولدان الشام ومصر والحجاز، فقد ارتحل أولاً إلى دار الخلافة سنة 1075هـ / 1664م وفي سنة 1100هـ / 1688م زار البقاع وجبل لبنان، وفي سنة 1101هـ / 1689م زار القدس والخليل، وفي عام 1105هـ / 1694م ذهب إلى مصر ومن ثم إلى الحجاز وهي رحلته الكبرى، وفي سنة 1112هـ/1700م زار طرابلس الشام ومكث فيها نحو أربعين يوماً، ثم عاد إلى دمشق ومنها انتقل إلى الصالحية في بداية سنة 1119هـ/1707م وأقام في دارهم المعروفة بهم ومكث فيها إلى أن توفاه الله (المرادي، 1310).

- وفاته

وذكر المرادي وفات الشيخ النابلسي بقوله " وهو أعظم من ترجمته علماً وولايه، وزهداً وشهرة ودراية. " مرض في السادس عشر من شعبان سنة 1143هـ / 1730م وتوفي عصر يوم الحد

القبائل والأعلام (النايلسي، 1694).

وسارت الى حقل فرّوت بمائة

ومرت بواد قر بعد رواها

وسارت الى وادي عفال ويممت

مغار شعيب والعون نجاها

وروّت بماء النبك خيما وخيّمّت

بسلمى وفي الشعبين كان قراها

وفي الوجه قد حطت وبانت عشية

باكرا وبالحوراء هاج هواها

ومرت بنبط ثم بالينبع الذي

أنت بعده الدهناء حيث تراها

وضحّت بيدر منزل النصر حبذا

وبالبروة الفيحاء كان سراها

وفي رابع لبي الحجيج واحرموا

واموا خليصا والسويق رباها

ويتابع المؤلف ايراد ما قاله جده عن منازل الحج ذاكرا

المحطات والمشاعر في الحج حتى انتهاء الحج (النايلسي،

1694)

كما يظهر عند المؤلف اعتماده أحيانا على بعض

المصادر في وصف بعض المواقع ومن ذلك وصفه وادي

المعظم المنقول عن الشيخ ابراهيم الخياري رحمه الله تعالى

ويقول في ذلك " وادي عذب هواه حلو ماؤه متسعة انحاؤه قد

اشتمل على قلعة عظيمة محكمة البناء مبنية بالحجر المنحوت

الأصفر المائل للحمرة وبجانب القلعة من خارجها على يسار

الداخل بركة ماء مربعة متسعة لم تر عيني قبلها في الكبر

مثلها ربما يبلغ كل من طولها وعرضها مائتي ذراع بذراع

العمل تخمينا وحدها وهي مبنية بالحجر من جنس ما بنيت به

القلعة " انتهى اقتباس المؤلف عن الشيخ ابراهيم الخياري

(النايلسي، 1694).

- التاريخ اليومي للأحداث

اعتمد النايلسي في تدوين مشاهداته على التأريخ اليومي

فبذكر رقم اليوم بالرحلة ثم تاريخه من الشهر والوقت من اليوم

(الصباح، المساء، المغرب، العشاء) (النايلسي، 1694) ويظهر

ذلك بوضوح في أغلب صفحات الرحلة.

- ضبط أسماء الأماكن

اهتم المؤلف في ضبط أسماء المواقع التي يمر عليها

ضبطا دقيقا ويظهر ذلك بوضوح في كتابته حركات الحروف

لكل موقع من المواقع التي مرّ عليها، مما يجعل ضبط

الاسماء واضحا، وهذا يسهل عملية كتابة الأسماء للمواقع

الجغرافية وأسماء القرى والبلدات والجبال ولا يقتصر ذلك على

أسماء المواقع بل يستخدم نفس الأسلوب في كتابة أسماء

رابعا: الموضوعات التي اشتملت عليها الرحلة:

المتتبع للمعلومات الواردة في الرحلة والمتضمنة مشاهدات المؤلف على طول طريق الذهاب إلى الحج عبر الطريق المصري (الزعاير، محمد) وما شاهده في عودته عبر الطريق الشامي، يجد أغلب المعلومات الواردة عن الطريق المصري موجودة لدى كتاب رحلات الحج من المسلمين. (النايلسي، 1694) ومن الموضوعات التي اهتم المؤلف بتدوينها ووردت في الرحلة والتي تكشف عن تاريخ المنطقة أوائل القرن الثاني عشر الهجري / أواخر القرن السابع عشر الميلادي، المياه والآبار والمنازل على طريقي الحج المصري والشامي، وطبيعة وتضاريس المنطقة والآثار وخاصة القلاع على طريق الحج والآبار والبرك الموجودة فيها، كما اهتم المؤلف بإيراد إشارات كثيرة حول الامن على طريق الحج وفيما يلي المعلومات التي أوردها عن الموضوعات التي تمت الإشارة إليها آنفا:

- المياه والآبار

اهتم الشيخ عبد الغني النايلسي بالتركيز على ايراد إشارات

كثيرة عن المياه وأماكن وجودها وطعمها ومدى صلاحيتها

للشرب، ويذكر ذلك في كل المنازل التي مر عليها فهو يحرص

دائما على ذكر المياه ويبدو أن ذلك كان هاما جدا نظرا للحر

الشديد الذي كان يلاقيه الحجاج عبر المحطات التي يمرون

بها وحاجتهم الشديدة للمياه لهم ولدوابهم التي تحملهم وتحمل

أمتعتهم، كما يحرص المؤلف أيضاً على الإشارة الى ذكر

الأماكن التي لا تتوفر فيها المياه وربما يعود ذلك الى حرص

المؤلف تزويد الحجاج المارين في تلك المحطات بهذه

المعلومات حتى يأخذوا حذرهم من شح المياه في هذه المنازل

ومن ذلك ما ذكره عن عفال والشرف (ليس فيه ماء)

(النايلسي، 1694). ويظهر اهتمام المؤلف بذكر أماكن توفر

المياه على طرق الحج من خلال الإشارة إلى الآبار والبرك.

ففي الإشارات الواردة عن الآبار يُبرز المؤلف عناية الدولة

العثمانية وولاتها في مصر بطريق الحج وبإصلاح الآبار فعند

وصفه لعدد المرافق له بالرحلة يذكر وصول معماريين

لإصلاح الآبار على طريق الحج وقال في ذلك " وقد اتفق أن

المصريين أرسلوا جماعة من المعمارية مع بعض العرب

وأركبهم جمالا من جمال العرب وحملوا أخشابا من أخشاب

الجميز النقال ومعهم آغاة قلعة المويلح ورجل آخر معتمد من

جماعة الوزير والي مصر لعامة آبار هناك في طريق الحج

فذهبنا معهم ورافقتهم إلى قلعة المويلح " (النايلسي، 1694).

- منازل طريق الحج

لعل من أبرز ما يُميز رحلة الشيخ عبد الغني النابلسي انه جعل المنازل على طريق الحج محورا رئيسا بحيث يذكر اسم المنزل ورقمه على الترتيب والملفت ان المؤلف حج قادما عبر طريق الحج المصري ورجع عائدا إلى الشام عبر طريق الحج الشامي، لذلك تبرز أهمية رحلته في انها اشتملت على معلومات عن طريقي الحج المصري والشامي. ولذلك سوف نعرض أهم المعلومات التي أوردها المؤلف عن طريقي الحج المصري والشامي ضمن منطقة تبوك.

أ. طريق الحج المصري

أورد المؤلف المنازل الواقعة على هذا الطريق بدءا من خمس منازل واقعة ضمن الأراضي المصرية (بركة الحاج بركة الحاج، تبعد عن مدينة القاهرة الى الشمال الشرقي. ومنه تبدأ الرحلة، وأشار اليه الجغرافيون العرب "باسم الجب" في القرنين الثالث والرابع الهجريين. كان هذا قبل تحول طريق الحجاجي عذاب، بسبب الحروب الصليبية، وبعد عودة طريق الحج إلى شبه جزيرة سيناء والعقبة في النصف الثاني من القرن السابع الهجري. أشار إليه المؤرخون باسم بركة الحج(النابلسي،1694) ثم الدار الحمراء، ثم عجرود، ثم الثغار، ثم قلعة النخل(النابلسي،1694) واستغرق ذلك منه ستة أيام (185- 191) (الأرقام هي خاصة بيوم الرحلة التي اعتاد النابلسي على ذكرها) وهي تبدأ من 9 - 13 من شهر رجب /1105هـ ثم واصل المؤلف ذكر المنازل بعد اجتيازه الأراضي المصرية داخلا في الديار الحجازية ذاكرا هذه المنازل على الترتيب وهي منزل القُرَيْص ورقمه (6)، السطح ورقمه (7)، العقبة ورقمه (8) على منازل طريق الحج المصري (النابلسي،1694). ومنازل طريق الحج المصري الواقعة ضمن منطقة تبوك التي ذكرها النابلسي هي (15) منزلا اجتازها المؤلف خلال الفترة من (20 رجب إلى 8 شعبان) من عام 1105هـ/ وبذلك استغرقت هذه المنازل 18 يوما وهذه المنازل هي حسب الترتيب الذي ذكره المؤلف للقادم من مصر للحج (النابلسي،1694)، الشرف (النابلسي، 1694)، الرجم (النابلسي،1694)، مغاير شعيب (النابلسي، 1694)، عيون القصب (النابلسي،1694)، المويح (النابلسي، 1694) ظبا (مرزوق الكفافي) (النابلسي،1694)، قلعة الازلم (النابلسي، 1694) اصطبل عنتر (النابلسي،1694)، قلعة الوجه (النابلسي، 1694)، أكره (النابلسي،1694)، العجله (النابلسي، 1694)، الحوراء (النابلسي،1694)، النبط (النابلسي،1694)، الخضراء (23) أول محطة حكم الشريف (النابلسي، 1694).

فذكر (آبار طيبة الماء) في حقل(النابلسي،1694). وماء في أم الجرفين(النابلسي،1694)،وصف ماء ظبا بالقول: إلى أن وردنا من ظبا مائها الذي

صفا رونقا كالماء من أعين الظبا

ولذ لصاد في الهواجر نهله

فله ما أحلاه طعما وأعذبا

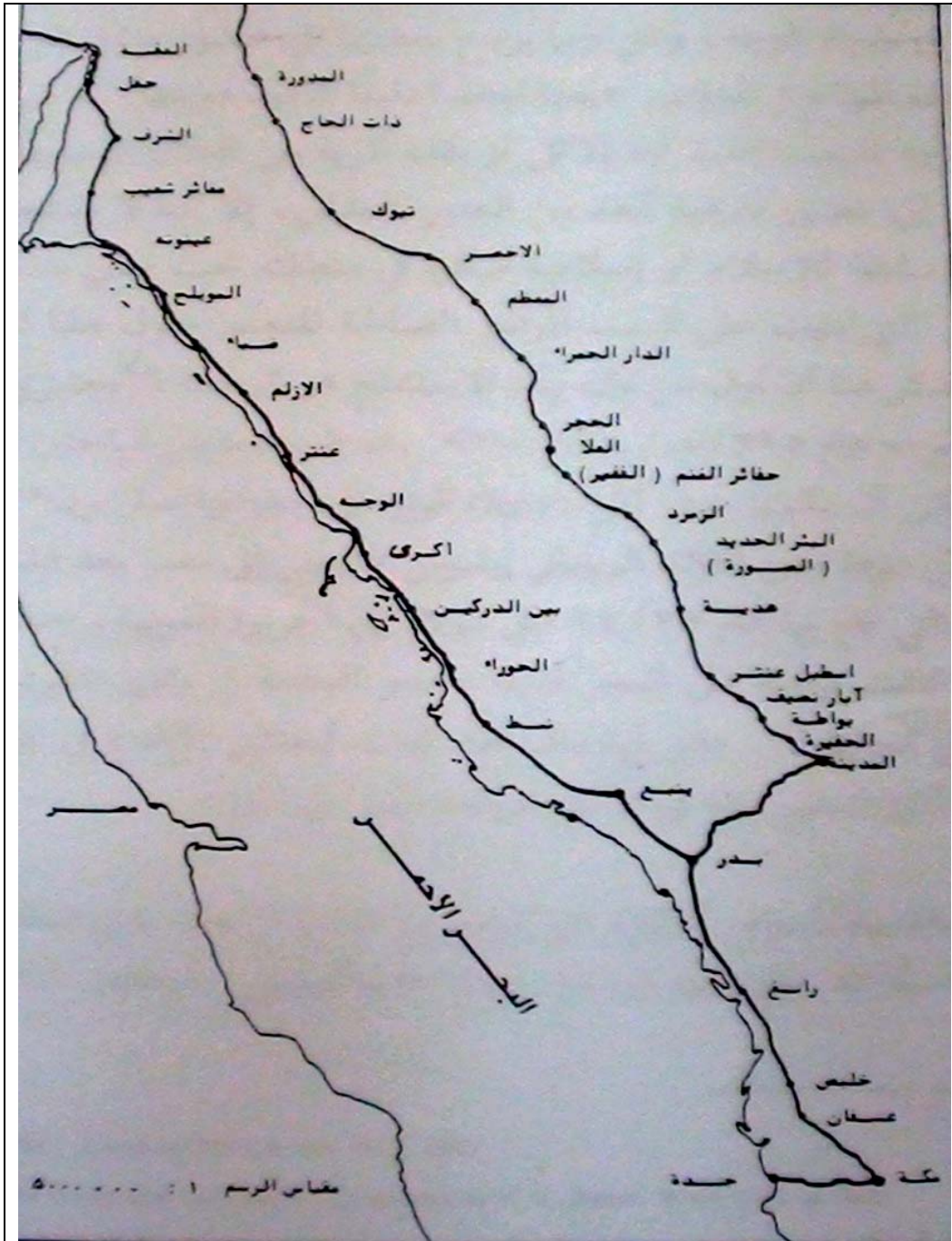
(النابلسي،1694).

وفي موضع آخر وصف ماء ظبا بقوله فيها (آبار من الماء العذب الحلو الرايق "(النابلسي،1694). وذكر العديد من الماكن التي تتوافر فيها المياه منها قلعة الوجه التي قال عن مياه آبارها تغلب عليها الملوحة وفيها بركة كبيرة تمتلي أيام الحاج (النابلسي،1694) "وذكر عن وجود ماء حلو في (الدخان) الواقع بعد الازلم (النابلسي،1694). وآبار اصطبل عنتر التي وصف مياهها بالعذبة ومذاقها حلو طيب وعددها خمسة آبار(النابلسي،1694).

وعن المياه غير الصالحة للشرب أورد المؤلف إشارات هامة حول عدم صلاحية المياه الموجودة في بعض المنازل على طريق الحج للشرب بسبب الملوحة ويصفه المؤلف بأوصاف عديدة محذرا للشرب منه في بعض الأحيان ومن هذه المياه آبار قلعة الأزم التي ذكر أنها ثلاثة آبار تغلب على مياهها الملوحة ولا تصلح للشرب (النابلسي،1694).والآبار الواقعة عند قلعة الوجه التي يغلب على مياهها الملوحة (النابلسي،1694)"وماء الحوراء الذي قال عنه ماء تكرهه النفس(النابلسي،1694) وماء أكره وقال عنه "تكرهه النفس " كما يشير المؤلف أحيانا الى الإبلاغ عن أنه حتى في الأماكن التي لا يوجد فيها ماء صالح للشرب يمكن البحث فيها عن مياه عذبة عند الحفر.

وأورد المؤلف إشارات عن بعض البرك التي مر عليها والواقعة على منازل الحاج والتي كانت تمتلي عند مرور الحجاج ومن هذه البرك بركة قلعة الوجه (النابلسي،1694) وبركة اصطبل عنتر(النابلسي،1694).

وأشار المؤلف أيضاً في حديثه عن المياه الى عيون الماء الموجودة على طريق الحاج ومنها الواقعة في البدع ومغاير شعيب التي وصف الماء فيها بالقول (فيه عيون ماء جارية على وجه الأرض تجتمع فتصير كالنهر في أماكن كثيرة وماؤها حلو لطيف" (النابلسي،1694) وفي المنزل 13 على طريق الحج المصري ذكر عين ماء أخرى فيها وصفها بالقول (فيه عين ماء كبيرة جارية على وجه الأرض كالنهر) (النابلسي،1694).



مسارات طريقي الحج الشامي والمصري في العصرين المملوكي والعثماني

الحصر - المنطقة الواقعة بين حقل والشرف (وصف طبيعة المنطقة) بعد صعود المؤلف من حقل إلى أم الجرفين ثم وصوله الجرفين وقبل وصوله المنزل العاشر " الشرف " وبعد مغادرته " الجرفين " يقول: " ثم ركبنا وسرنا بين تلك الجبال الشامخة من الحجر السماقي وحجر الرخام الملون بألوان باذخه. ورأينا في هاتيك الجبال ما هو قِطَع بعضها فوق بعض مصفوفات (النايلسي، 1694) عند مروره في "الجرفين" يقول:

- مشاهدات المؤلف على طريق الحج المصري
1. طبيعة المنطقة وتضاريسها من جبال وأودية وصخور ومراعي وعشب
وردت إشارات عديدة في الرحلة عن طبيعة المنطقة حيث يصف المؤلف المواقع التي كان يمر بها من حيث وعورتها، السهول، الجبال، التلال، الصخور، ألوان الصخور... (النايلسي، 1694). ومن ذلك - على سبيل المثال وليس

4. الأمن على طريق الحج

اهتم المؤلف في التأكيد على موضوع الامن على طريق الحج وظهر ذلك واضحا في الإشارات الكثيرة التي أوردها مع كل إقامة واستراحة في الأماكن التي مكث فيها على طريق الحج ومن الإشارات التي ذكرها المؤلف وهي كثيرة في الرحلة: أثناء عبور مؤلف الرحلة منازل الحاج داخل منطقة تبوك لم يتعرض الى أي اعتداء وإنما كان ينزل في أي منزل من منازل الحاج ويخرج منه وهو يذكر الامن والسلامة والطمأنينة، وهذا يتعارض مع ما ذكره العديد من مؤلفي الرحلات من المسلمين والاوربيين الذين دائما ما أشاروا الى انعدام الامن والاعتداءات على الحجاج والقتل والسلب والنهب الذي كانت تماسه بعض القبائل على طريق الحج

المؤلف دائما كان يشير في عبارات دالة على الأمن والاستقرار كقوله: (وبتنا في سرور وأمان (النابلسي،1694) وقوله (وبتنا في تلك الليلة في سرور كامل وأنس شامل (النابلسي،1694). ومن الاشارات الاخرى الواردة في رحلة النابلسي في الاماكن التي مر بها والوقعة في منطقة تبوك ومن ذلك اقامته في الجرفين بعد حقل حيث يقول ونصبت لنا الخيمة وبتنا تلك الليلة في سرور وسلامه (النابلسي، 1694). وفي موضع الشرف قال فنصبت لنا الخيمة هناك وبتنا تلك الليلة في أمن وراحة (النابلسي ورقة 306) وفي عفال قال "وبتنا في تلك الليلة على أكمل حال" (النابلسي، 1694) وفي الصورير قال: "علينا امن السلامة والعافية" (النابلسي، 1694) بعد عيون القصب اقام المؤلف في البرية وعبر عن الأمن بقوله " فبتنا تلك الليلة في عناية الله تعالى بقرة عين. واطمأنت القلوب، بتوفيق علام الغيوب " (النابلسي، 1694) وفي وادي الغال قال "فنزلنا هناك حصاة من الزمان وتباشرنا بحصول الراحة والأمان" (النابلسي،1694) وفي اصطبل عنتر قال عن اقامته في الموضع "فنزلنا هناك للاستراحة، حتى وجدنا النشأة والسرور والراحة" (النابلسي، 1694).

ب. طريق الحج الشامي

أورد المؤلف المنازل الواقعة على هذا الطريق أثناء عودته من الحج وشملت شق العجوز، مفارش الرز ويسمى أيضاً (الدار الحمراء) والاقيرع (النابلسي،1694)، قلعة المعظم، الصافي، جنابن القاضي الأخضر، مغاير شعيب، وادي الآتل، قلعة تبوك، القاع (النابلسي،1694) (قاع البزوه) الزلاقات، ذات حج، زلاقات عمار، جُعيمان، عقبة الحلاوة، واستغرقت هذه المحطات تسعة أيام من يوم الاحد 14 محرم الى الثلاثاء 23 محرم من عام 1105هـ/ 694م وهي (368- 377) من

ثم ركبنا وسرنا بين تلك الجبال الشامخة من الحجر السماقي وحجر الرخام الملون بألوان باذخه. ورأينا في هاتيك الجبال ما هو قِطَع بعضها فوق بعض مصفوفات" (النابلسي،1694) وعن العشب والمراعي أورد إشارات عن وجودها في وادي العذيب الواقع بعد عيون القصب وعرف به على انه واد بين اودية كثيرة يقال له وادي العُذيب ووصفه بالقول " وهو ذو أعشاب نضيره. وربيع وافر. وماء مطر عذب صافي " (النابلسي، 1694). وعند اجتيازه وادي الغال ذكره المؤلف بعد اجتيازه المغاول ووصفه بالوادي كثير الأعشاب وقال عنه: "تفرح برؤيته العيون وتمرح برعيه الدواب. يقال له وادي الغال " (النابلسي،1694) ووصف الحوراء شعرا بقوله

قد أتينا من مصر منزلة في

سفر الحج حيث عشب وماء

نحن في جنة النعيم بين

غوطة وهذه الحوراء

(النابلسي،1694).

وأما واد البحرة فقد مرّ به بعد اجتياز ظُبا وأشار الى وجود أعشاب كثيرة ومراعي غزيره فيه(النابلسي،1694).

2. الآثار

ومن المعلومات التي اهتم المؤلف بتوثيقها اثناء رحلته وصف القلاع التي مرّ عليها والموجودة في منازل طريق الحاج، ومن هذه القلاع قلعة المويلح التي وصفها بالقلعة العامرة بالناس وفيها طبل خانه تضرب كل ليلة بعد العشاء (النابلسي،1694).

وقلعة الأزلم التي ذكر موقعها على الطريق الى الأزلم بعد اجتيازه قبر الكفافي ووادي البحرة (النابلسي،1694) وصفها بالقلعة الواسعة الكبيرة التي تحوي ثلاثة آبار مياهها مالحة كما وصف القلعة بانها غير معمورة وقت مروره بها وقد تهدم بعضها (النابلسي،1694) قلعة الوجه، الواقعة في المنزل 18 من منازل الحاج وصفها بقوله "قلعة عامرة بين جبال بها أربعة أبراج وفيها منارة وفيها اناس يسكنونها وعندها آبار من المياه... ولها بركة كبيرة تمتلي أيام الحاج" (النابلسي، 1694).

3. القبائل والسكان:

أهل المويلح قال عنهم "لهم عزة ومنعة" (النابلسي،1694) من القبائل التي ذكرها المؤلف هُتيم في أكره في عملية تفاوض لبيع مهرته (النابلسي،1694) وذكرها أيضاً في موقع آخر بعد مجاوزته منزل العجلة المنزل 20 من منازل الحاج وقبل وصوله الى الحوراء وأورد ذكر هتيم يقيمون في البرية نازلين في بيوت من الشعر وهم من عرب هتيم (النابلسي،1694).

وذكر المؤلف ان القلعة مبنية في آخر وادي الأخضر (النابلسي، 1694) بركة قلعة تبوك وفيها البركة تقع في الخارج ووصفها بالكبيرة الواسعة" (النابلسي، 1694) وقلعة ذات حج وصف البئر والماء والبركة "وفيها بركة من الماء كبيرة..." (النابلسي، 1694).

طبيعة المنطقة وتضاريسها والودية والجبال والصخور

أورد المؤلف العديد من الإشارات عن طبيعة المنطقة وجبالها ووديتها ومن ذلك ما أورده عن وادي الأخضر حيث وصف المؤلف بداية الوادي "قم وادي الأخضر" يسمى نقب الخيضر وإذا خرج الانسان منه فكأنه خرج من تحت الأرض الى وجه الأرض، وهو نقب مهول تزدهم فيه الحجاج غاية الازدحام من شدة الضيق والوعر والحجار في ذلك الطريق (النابلسي، 1694). (وادي الأثل) ومما ورد في طبيعة الوادي ان فيه غبار كثيف (النابلسي، 1694).

كما أشار الى وعورة بعض الممرات منها الزلاقات (وصف الطبيعة) موقعها بعد شق العجوز وتمتاز بكثرة الحجارة والرمل وأحجارها ناعمة تزلق بها الدواب والجمال (النابلسي، 1694) وهي ارض ذات بلاطات كبار متسامت وتمر عليها الدواب فتزلق (النابلسي، 1694) والصافي يقع بعد قلعة تبوك ووصف المؤلف المكان بأنه في غاية الصعوبة من كثرة الضيق والأحجار التي فيها الأوعار الصغار والكبار (النابلسي، 1694) جنابن القاضي ويلي هذا الموقع الصافي وهو مكان فيه رمل ووعر كثير وأشجار الغيلان المشوكة بحيث تعلق فيه الثياب فيفنيها والأحمال فيبليها ويختطف العمائم عن الرؤوس. فيحترز فيه الرئيس والمرؤوس " وهذا الوصف يدل على صعوبة المرور بالمكان واجتيازه بسبب تشابك الاشجار الشوكية فيه (النابلسي، 1694). زلاقات عمار تقع بعد ذات حج وهي بلاطات كبار يحصل بها غاية المشقة للجمال والدواب (النابلسي، 1694).

- الآثار:

أورد المؤلف إشارات عن القلاع الواقعة على طريق الحاج الشامي ومن هذه القلاع قلعة المعظم (وصف القلعة ومحتوياتها) (النابلسي، 1694) وسبب تسميتها ذكر المؤلف عن وجود بئر ماء فيه ماء كثير وربما سميت القلعة بقلعة المعظم لأنه بناها الملك المعظم الذي بنى في صالحية دمشق الشام جامعا في سفح جبل قاسيون (النابلسي، 1694) وقلعة الأخضر (الأخضر) وصفها بالقول " وفيه قلعة متينة البناء لطيفة الفناء (النابلسي، 1694) وقلعة تبوك ومياه بئرها وبركتها

الرحلة التي اعتاد المؤلف على ذكر رقم يوم الرحلة الى جانب التاريخ، (النابلسي، 1694). حيث استغرقت رحلته إلى الحج في مجملها ذهابا وإيابا (377) يوما، (النابلسي، 1694). أورد المؤلف المنازل الواقعة على هذا الطريق اثناء عودته من الحج وشملت شق العجوز، مفارش الرز ويسمى أيضاً (الدار الحمراء) والاقيرع (النابلسي، 1694) قلعة المعظم، الصافي، جنابن القاضي الاخضر، مغاير شعيب، وادي الأثل، قلعة تبوك، القاع (النابلسي، 1694) قاع البزوه الزلاقات، ذات حج، زلاقات عمار، جُعيمان، عقبة الحلاوة، واستغرقت هذه المحطات تسعة أيام من يوم الاحد 14 محرم الى الثلاثاء 23 محرم من عام 1105هـ / 694م وهي (368 - 377) من الرحلة التي اعتاد المؤلف على ذكر رقم يوم الرحلة الى جانب التاريخ (النابلسي، 1694) حيث استغرقت رحلته الى الحج في مجملها ذهابا وإيابا (377) يوما (النابلسي، 1694).

مشاهدات المؤلف على طريق الحج

في رحلة عودة المؤلف عبر طريق الحاج الشامي_أورد المؤلف العديد من الإشارات الهامة التي تساعد في الكشف عن ملامح تاريخ المنطقة في ي النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري.

- المياه

أماكن لا يوجد فيها مياه ومنها مفارش الرز (ويقع بعد الزلاقات) لا يوجد فيه ماء (النابلسي، 1694) لا يوجد ماء في مغاير شعيب (النابلسي، 1694) القاع بعد قلعة تبوك لا يوجد فيه ماء وجُعيمان وليس فيه ماء (النابلسي، 1694) وندرة المياه في المنازل بين ذات حج ومعان وأشار المؤلف الى أن الحجاج حملوا معهم المياه من ماء ذات حج لأنه لا يوجد مياه على الطريق خلال المنازل الثلاث حتى معان (النابلسي، 1694).

كما ركز المؤلف على ذكر أماكن آبار المياه الواقعة على طريق الحج الشامي ومن ذلك بئر ماء فيه ماء كثير في قلعة المعظم (النابلسي، 1694). وبئر قلعة الاخضر ووصف ماؤه بالعذب الحلو (النابلسي، 1694) ومياه قلعة تبوك وفيها بئر ماء من أعذب الآبار يخرج منه الماء بالدواب والدولاب الى خارج القلعة والبركة في الخارج وهي بركة كبيرة واسعة" (النابلسي، 1694) يخرج منه الماء بالدواب والدولاب الى خارج القلعة والبركة في الخارج.

كما شار المؤلف أيضاً الى البرك الواقعة على طريق الحج الشامي ومنها بركة قلعة الخيضر فيها ماء وكان يتم حمايتها من قبل عسكر الشام وفيها بئر ماء عذب حلو بجانب البركة،

الخميس الخامس من شعبان (211) من الرحلة ذكر قصة مبادلة المهرة التي أشار الى ولادتها في موقع آخر من الرحلة قال في ذلك: " ثم لم نزل سايرين الى أن نزلنا في مكان على ساحل البحر للاستراحة... وإذا برجلين من العرب على ناقتين وردا علينا. ونزلا لدينا. فسلما وجلسا ثم قال أحدهما لبعض جماعتنا يمكن ان الشيخ يعطينا هذه المهرة الصغيرة التي ولدتها فرسه... وكان عمرها أربعة عشر يوما ويأخذ له احدى هاتين الناقتين " وبعد خروج المؤلف من أكره استبدل المهرة الصغيرة البالغة من العمر (14) يوما بناقة نعمانية عمرها أربع سنوات وقال صاحبها للمؤلف وهو من عرب هُتيم انه اشتراها سابقا بخمسة من الجمال وقال عن عملية البيع: " فقبلنا وأعطيناها المهرة وأخذنا احدى الناقتين وكانت نعمانية وعمرها أربع سنين وقد أخبرنا صاحبها أنه اشتراها سابقا بخمسة من الجمال...." (النابلسي، 1694).

حوادث متفرقة كانت تواجه الحجاج على طريق الحاج

ورد المؤلف قصة حادثة غرق لبعض من سماهم جماعة من فقراء الهنود كانوا في مركب عتيق نزلوا فيه من السويس الى بلاد الحجاز فانكسر بهم بقرب قلعة الوجه وغرق بعضهم وخرج بعضهم الى الساحل فجاؤا إلى قلعة الوجه وقعدوا ينتظرون رفقاً من العرب وغيرهم يدلونهم على الطريق وكانوا خمسة أوستة فلما مررنا نحن عليهم جاؤا ليذهبوا معنا..." (النابلسي، 1694).

النتائج:

تعد الدراسة اسهاماً في تدوين تاريخ وتراث منطقة تبوك الحديث، وكشفت عن أهمية رحلة النابلسي كمصدر هام ورئيس لتاريخ المنطقة في القرن الثاني عشر الهجري /الثامن عشر الميلادي وكذلك تاريخ الحجاز خلال هذه الفترة كما تبرز الدراسة الأهمية التاريخية لمنطقة تبوك خلال العصر العثماني، وتسهم في مساعدة الباحثين على البحث في مجالات وجوانب لم تدرس في تاريخ الشمال الغربي من العربية السعودية بالاعتماد على كتب الرحلات كمصادر رئيسة ومنها الرحلة موضوع الدراسة.

ويمكن تلخيص أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة بما يأتي:

1. اشتملت الدراسة على مشاهدات يومية للمؤلف على طريق الحج المصري والشامي واستغرقت الرحلة على الطريقتين المصري والشامي ضمن منطقة تبوك حوالي الشهر من عام 1105هـ/1694م.

التي وصفها قائلاً: " وهذه القلعة عظيمة البناء مشرفة الأرجاء مشرفة على هاتيك الجهات والأقطار وفيها بئر ماء من أعذب الآبار يخرج منه الماء بالدواب والدولاب الى خارج القلعة والبركة في الخارج وهي بركة كبيرة واسعة " (النابلسي، 1694) وقلعة ذات حج وصف القلعة والبئر والماء والبركة وقال عنها: "وهناك قلعة كبيرة واسعة وهي لطائفة من عسكر الشام جامعة. ينظرونها في كل سنة وينظرون الماء وفيها بركة من الماء كبيرة..." (النابلسي، 1694)

- قصص وحكايات قديمة:

ذكر المؤلف ان الناس يرفعون أصواتهم عند مرورهم بشق العجوز نظراً لخروج صوت ولد الناقة المعقورة (ناقة صالح) وإذا سمعت الجمال الصوت تهلك لذلك كان الناس يهرولون ويرفعون أصواتهم حتى يجتازون المكان (النابلسي، 1694).

حماية برك المياه على طريق الحج من اعتداءات البدو

ذكر المؤلف أن قلعة المعظم كانت تقيم فيها جماعة من عسكر الشام ينظرون، فنقب عليهم الاعراب الحايط وقتلوهم، وبقيت القلعة دون أن يقيم فيها أحد (النابلسي، 1694) قلعة تبوك مكان ملاقات الحجاج من جهة الشام اشار المؤلف الى ان قلعة تبوك كانت نقطة ملاقات الحجاج العائدين على طريق الحاج الشامي ولكن في اثناء عودته من الحج قال انه أهل الملاقاة من جهة الشام لم يصل منهم أحد على خلاف العادة مما أثر كثيراً على الحجاج وقال في ذلك "فانحصر الحجاج من ذلك غاية الحصر" (النابلسي، 1694).

حماية العسكر لمياه الآبار والبرك من الاعراب

ذكر المؤلف في حديثه عن وجود حاميه عسكرية في قلعة ذات حج تقوم بحماية بئر القلعة والبركة ويقول في ذلك: "وهناك قلعة كبيرة واسعة وهي لطائفة من عسكر الشام جامعة. ينظرونها في كل سنة وينظرون الماء وفيها بركة من الماء كبيرة..." (النابلسي، 1694).

كما ذكر المؤلف أن بركة قلعة الاخضر كان يتم حمايتها من عسكر الشام وقال في ذلك: "يذهب في كل سنة إليها جماعة من عسكر الشام ينظرون فيها بركة الماء خوفاً من الأعراب أن يستقوا منها" (النابلسي، 1694).

التجارة (البيع والشراء)

بعد اجتياز المؤلف أكره واثناء مسيره على ساحل البحر في وادي أكره ودون ان يحدد المكان ولكن حدد التاريخ في يوم

2. الدافع الرئيس من الرحلة هو الحج إلى الأراضي المقدسة في مكة والمدينة.
3. مؤلف الرحلة من العلماء الذين عاشوا في القرن الثاني عشر الهجري ويعد من علماء الصوفية وظهر ذلك في العديد من الإشارات الواردة في الرحلة، واتبع المؤلف في كتابة الرحلة على التدوين اليومي للأحداث التي واجهته أثناء الرحلة، وذكر بعضاً من المصادر التي اعتمد عليها في تثبيت بعض الأخبار والأشعار، واهتم المؤلف في ضبط أسماء المواقع التي مر بها على طريقي الحج المصري والشامي، وعني كثيراً بذكر أماكن توفر المياه على طريق الحج سواء كان ذلك على شكل آبار أو برك الصالحة.
4. تُوضّح الدراسة أهمية الرحلة في الكشف عن تاريخ منطقة تبوك في أوائل القرن الثاني عشر الهجري/ أواخر القرن السابع عشر الميلادي والاعتماد عليها في كتابة تاريخ المنطقة.
5. بيّنت الرحلة منازل الحجاج على طريقي الحج المصري والشامي مع ضبط اسمائها ومواقعها وطبيعتها الجغرافية وتضاريسها.
6. اشتملت الرحلة على معلومات عن آثار المنطقة وبعضاً من قبائلها والأمن على طريق الحج بالإشارة إلى بعض الاعتداءات على برك المياه والآبار ودور الدولة العثمانية بتأمين الحماية على طرق الحاج من خلال الحاميات الموجودة في القلاع الواقعة على طريقي الحاج.
7. تُعدّ رحلة الشيخ عبد الغني النابلسي "الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز" مصدر هام لدراسة تاريخ منطقة تبوك وبلاد الحجاز في العصر الحديث.

1. البلوي، مطلق، العثمانيون في شمال الجزيرة العربية 1326-1341هـ/1908-1923م، ط1، الدار العربية للموسوعات، 1427هـ/2007م.
2. بيركهارت "جون لويس، رحلات في سورية والبلاد المقدسة، ترجمة شاهر حسن عبيد، دمشق، دار الطليعة الجديدة، 2007م.
3. تويتشل، ك.س، الزراعة والماشية في المملكة العربية السعودية، ترجمة أحمد علي، مجلة المنهل، ربيع الأول 1369هـ/ديسمبر 1949م.
4. الجاسر، حمد، في شمال غرب الجزيرة، ط1، دار اليمامة، الرياض، 1970م.
5. _____، المعجم الجغرافي للبلاد السعودية شمال غرب السعودية، ط1 (دار اليمامة، الرياض 1977).
6. الخضير، سليمان بن صالح، منطقة تبوك دراسة في الجغرافيا الإقليمية، رسالة ماجستير غير منشورة، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1411هـ/1991.
7. حمزة، فؤاد. قلب جزيرة العرب.
8. دارة الملك عبد العزيز، مختصر الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، إعداد وتنفيذ دارة الملك عبد العزيز، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، 1424هـ/2004م.
9. الدقن، السيد محمد، سكة حديد الحجاز الحميدية، 1405هـ/1985م، مطبعة الجبلوي، القاهرة.
10. الدمشقي، محمد بن عيسى، المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، تحقيق ودراسة حكمت اسماعيل، منشورات دار الثقافة، دمشق 1993م.
11. الدوري، الجزيرة العربية في عصر الخلفاء الراشدين (نظرة شاملة)، بحث منشور ضمن الكتاب الثالث لأبحاث الجزيرة، وعنوانه:

المصادر والمراجع

1. ابن حوقل، أبو القاسم محمد (ت 367هـ / 977م)، المسالك والممالك، بريل، ليدن، 1874م.
2. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/1406م، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، بيروت، 1421هـ/2000م.
3. ابو عليه، عبد الفتاح حسن، الاصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز، 1396 هـ / 1976 م.
4. أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردى (ت 874هـ/1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، 1963م.
5. اويتنج، يوليوس، رحلة داخل الجزيرة العربية، ترجمة سعيد فايز السعيد، صدر عن دائرة الملك عبد العزيز، الرياض 1419هـ.
6. الانصاري، عبد الرحمن الطيب، الأحوال العامة للجزيرة العربية عند البعثة النبوية، بحث منشور ضمن الكتاب الثالث لأبحاث الجزيرة، وعنوانه: (الجزيرة العربية في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين)، ج1، جامعة الملك سعود، ط1، 1410هـ/1989م.
7. البتونني، محمد لبيب، الرحلة الحجازية، مكتبة الثقافة الدينية، مصر بكر، سيد عبد المجيد، الملاح الجغرافية لدروب الحجيج، ط1، تهامة 1401هـ/1981م.
8. البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ/1094م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب بيروت، 1403هـ/1983م.

الذهب ومعادن الجواهر، تحقيق محمد محي الدين، دار الفكر، بيروت، ط5، 1973م.

النابلسي، عبد الغني إسماعيل (1143هـ / 1730م) الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986م.

_____، يوجد نسخة مخطوطة التي تم الاعتماد عليها.

الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر (ت 207هـ / 822م)، كتاب المغازي، تحقيق مارسدن جونز، عالم الكتب، (د.م)، ط3، 1984م. ج1، ص402 وج2، ص555-560).

الوليبي، عبد الله بن ناصر، جيولوجية وحيومرفولوجية المملكة العربية السعودية، الرياض، مؤسسة المنار للطباعة والتجليد، ط1417هـ/1997م.

(الجزيرة العربية في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين)، ج1، جامعة الملك سعود، ط1، 1410هـ/1989م.

الزركلي، خير الدين. قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين.

الزعاري، محمد عبد الله، (الابار والمياه في منطقة تبوك خلال الفترة 922-1340هـ/1516-1922م)، مجلة كلية التربية - جامعة كفر الشيخ، العدد 1، السنة 14، 2014م.

العنبي، إبراهيم بن عويض: الأمن في عهد الملك عبد العزيز.

المرادي، محمد خليل بن علي ت 1206هـ / 1791م سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر.

المسعودي، أبو الحسن، علي بن الحسين (ت 346هـ/957م): مروج

The Importance of Abdul Ghani Al-Nabulsi, a Trip to the Hajj in 1105 AH as a Source for the Study of the History of the Tabuk Region in the 12th Century AH

*Mohammed Abdollah Alzaareer **

ABSTRACT

The study deals with the history of the Tabuk region in 12 AH / 18 th century, and includes the study area geographically located within the current administrative boundaries and include all of Tabuk, Taima, Duba, field, face, Trowel, and villages located within the administrative boundaries of the region. Given the importance of site area on my way Hajj Shami and Egyptian has seen interest from geographers and scientists Muslims who have passed through ways of Hajj and its streets this region and dunno during their passage to the Holy Land to perform the Hajj views are important and reveals features of the social and economic history of the region.

The study aims to reveal the importance and value of Sheikh Abdul Ghani Al-Nabulsi trip deceased in 1143 AH tagged with "truth and metaphor in the journey to the Levant and Egypt and the Hijaz," which accounted for his trip to the Hajj in 1105 AH and that without the observations through the passage in the pilgrimage route where Me logged his observations at stations passed out and those in which some time since he set up the field, which is the first pilgrimage route stations in Tabuk.

The study will focus on tracking the information contained in Nabulsi trip, collected, classified and analyzed and highlight their importance in the detection of the aspects that relate to the heritage of the region and its history in various aspects of life, the historical value of the information contained in the flight and its importance for researchers in the history of the region.

Keywords: Tabuk, Journey, History.

* The College of Arts and Sciences, Qatar University, Qatar. Received on 31/7/2016 and Accepted for Publication on 3/10/2016.